العرب
الجمعة 2020/12/18
السنة 43 العدد 11915

الوقت حان لكي يبتكر العرب مناهج نقدية خاصة

مع تراجع الأيديولوجيا بات من الصّعب ممارسة النقد بنفس النظريات السابقة

تعوّدنا أن نأخذ من الغرب كل شيء، حتى نظرياته ومناهجه النقدية، ورغم أن الزمن أثبت تهافت هذه المناهج، أو ارتباطها بخلفيات أيديولوجية، ما زلنا متشبثين بها، نُخضع لها نصوصنا بدعوى مواكبة العصر حينًا، والأخذ بأسباب العلم من مظانّه حينًا آخر، ونتحيّن فرصة ظهور موضة نقدية جديدة كي نرتمي عليها ارتماء القَرم على اللحم، بدل أن ننهل من موروثنا ما يفيدنا في صياغة نظرية، أو نظريات نقدية جديدة.

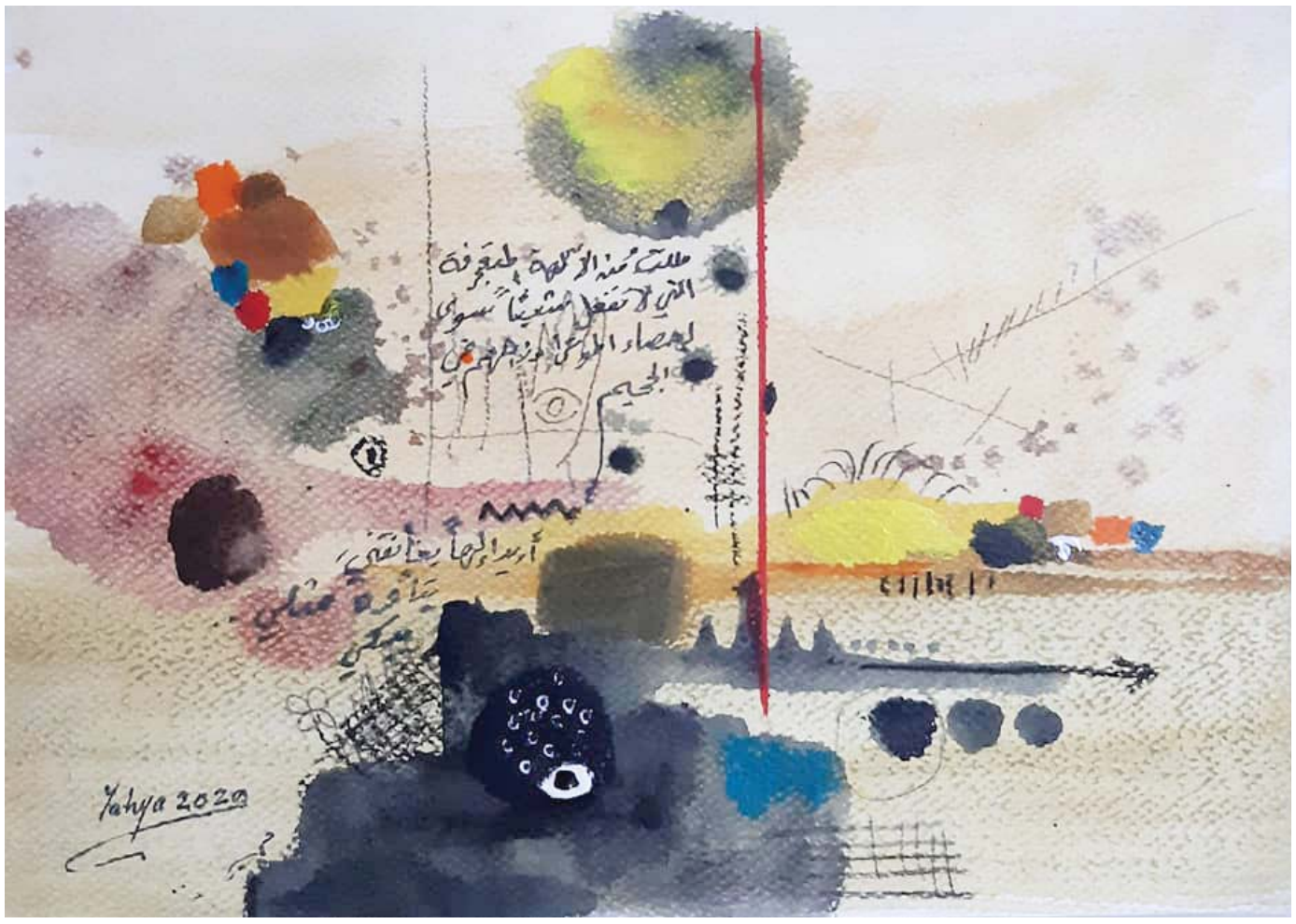

لا بد من نظريات عربية خاصة (لوحة للفنان يحيى زكي محمد)

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

يخضع النقد الأدبي في أوروبا لخيارات مهيمنة يعود القطب فيها مرة إلى المؤلف (الأثر والمؤلف) ومرة إلى القارئ (الأثر والقارئ) ومرة إلى الموضوع الذي يحويه الأثر ويكون جزءا منه (الأثر والموضوع)، ونادرا ما يكون للأثر وحده.

> المناهج النقدية، التي ما زلنا نلوكها، لم تعد ملائمة لأن الآفاق البراغماتية التي تربطها بالأدب كانت أيديولوجية

على هذه الأقطاب الأربعة انبنت أهمّ اتجاهات النقد الأدبي منذ نحو نصف قرن، منها ما عالج المشاكل الخاصة بعلاقات الأثر بالمؤلف كغياب المؤلف أو موته، ومنها ما اهتم بالقراءة وفعل القراءة ودراسة التلقي، ومنها أيضا ما أثار الأسئلة المتعلقة بالتمثيل، ومنها أخيرا ما انكب على بنية الأثر نفسه كالشكلانية والبنيوية.

التقليل من شأن الأدب

الغالب على المشهد النقدي أنه يلتقي في التقليل من أهمية الأثر الأدبي، فقد اعتبرت تلك التيارات الأدب مجرد شكل من أشكال النشاط الاجتماعي والثقافي، يحتمل التحليل البنيوي اللغوي والعلامي كسائر الأنشطة الأخرى.

ومن أمثلة ذلك دراسة مسرودية "في البحث عن الزمن الضائع" لجيرار جينيت، التي أكد فيها أن المفهوم المضمر أو المظهر للسردية التي تستند إليها تلك الدراسة ليس مفهوم السردية الأدبية وحدها بل كل سردية، إن كنت أنا السارد اليوم، فسأحكي ما جرى أمس أو أول أمس أو قبله، وبوسعي أن أفرض نفسي كفاعل أو غير فاعل لما حدث أمس. فالجهاز الذي يصفه جينيت بخصوص "البحث" ليس جهازا أدبيا صرفا، ولو أنه ينتهي في تحليله إلى القول إنه قد يكون جهازا أدبيا.

كذلك المقاربة البنيوية والشكلانية، فكلتاهما لا تعتبر الأثر كذلك بالضرورة، وهي مفارقة عجيبة نجدها حتى في دراسات التلقي وجمالياته، مهما كانت أنماط التلقي المقصودة. فالأفق التأويلي كما أوضحه فولفغانغ إيزر هو أفق تملك للأثر وليس أفق عودة موضوعية إلى الأثر حسب التناول الهرمينوطيقي. والأمثلة على ذلك كثيرة، فدراسات التلقي لا تنظر إلى الموضوع الأدبي بوصفه ذاك، بل تستعيض عنه بالوظيفة البويطيقية، أي الشعرية كما حدّدها رومان جاكبسون.

إلى جانب التقليل نجد مشكلة أخرى، حيث يكثر الحديث عن جمالية الأثر الأدبي دون أن يستقر الأمر على تعريف ثابت لتلك الجمالية، ولا على خصائص محددة لماهية الأدب.

في كتاب "مبادئ النظرية الأدبية"، كان جان بيسيير قد لاحظ أن أزمة الدراسات الأدبية لا تنفصل عن إغفال الأثر الأدبي نفسه، وعاين المفارقات الشكلية والدلالية في تناوله، مثلما عاين المفارقة بين التقليل من قيمة الأدب من جهة والتأكيد على أهميته من جهة ثانية. وانتهى إلى ضرورة إعادة النظر في النظريات الأدبية، وإعادة بنائها حسب الاتجاهات التالية:

أول تلك الاتجاهات يتمثل في مواجهة حقيقية لما ينبغي أن يكون عليه مفهوم الأثر الأدبي، بشكل يجنب الوقوع في اجتماع الأضداد. وثانيها ضبط شروط إعادة تعريف الأدب على مستوى التمثيل. وثالثها تحديد براغماتية للأدب، وهي التي تم إنكارها أو إهمالها في مقاربات الأدب اللازمة، أي التي لا تنزاح إلى سواه.

انتهاء المناهج

قد يبدو أمر تحديد مفهوم للأدب غريبا لأن ذلك من الأمور البديهية، فالأدب في الأذهان يقترن بما هو مكتوب ومنشور حسب أجناس الكتابة المعلومة، وحتى ما جدّ من أجناس كالتخييل الذاتي وتخييل الآخر، ولكن بعض المنظرين يبتدعون مقاربات تدّعي تأصيلا نظريّا أو إجرائيّا، ويأتون بمصطلحات يعتبرونها مكوّنات أساسية تشكل أفق انتظار القارئ، والحال أنها ترغم القارئ على أن يسجن نفسه داخل سنن معيّنة من القراءة وآفاق التلقي.

من ذلك مثلا العقد القرائي الذي يقترحه فيليب لوجون كمقولة أوّليّة تحدد العلاقة بين القارئ وجنس النص الذي سيقبل عليه، وكأن القارئ لا يتوصل بمفرده إلى فهم طبيعة ذلك النص إلا إذا أبرم عقدا مسبقا مع الكاتب من خلال نوع الجنس الذي يدوّنه الكاتب على غلاف كتابه، أو ما يسميه نقاد الأدب بالإعلان الإجناسي. كذلك العتبات النصية التي جاء بها جيرار جينيت، كفضاء الصفحة الأولى والعنوان الرئيسي والعناوين الفرعية والعقد القرائي الذي يعلن الانتماء إلى جنس مخصوص من الكتابة. والحال أن كتبا كثيرة لا تنبئ عن جنسها، ويهتدي إليه القارئ بسهولة دون وساطة أحد.

ثمّ إنّ العتبات، أو المناص، التي يعتبرها جينيت مداخل لأي كتاب، تحمل في طياتها مفارقة رئيسية كما بيّن جان بيسيير، أستاذ الأدب العام والأدب المقارن في السوربون. فمن ناحية يفترض تمييز المناص جماليةً اسمانيّة (والإسمانية أو الإسمائيّة هي مذهب فلسفي يقول إن المفاهيم المجردة ليس لها وجود حقيقي، وإنما هي مجرّد أسماء)، فالكتاب كتاب لأن ذلك ما كُتب عليه، والرواية رواية لأن عنوانها الفرعي يعلن عن ذلك.

ولكن جينيت يقترح من ناحية أخرى وصفا آليا للمناص، وتلك مفارقة لأن كتابه "عتبات" لا يفصل بين الوصف الآلي الذي يُقعّد المناص، والاسمانيّة التي يفرضها تمييز المناص. وفي رأي بسيير أن تصويب تلك المفارقة يؤدي إلى ما يلي: غلاف الكتاب يفصل الكتاب، فيكون عازلا، بمعنى أن غلاف النص الذي يضمّه ويحدده يشير إلى تمثيل ما، فبعزله وفصله عن طريق الغلاف يتبدّى النص. وسواء اعتمدنا الفينومينولوجيا أو الهرمينوطيقا فالمعاينة هي نفسها "الأثر، سواء أكان منحوتة أم لوحة أم عرضا فرجويّا أم رواية، أمامي".

إن المناهج النقدية، التي ما زلنا نلوكها، لم تعد في ديار أهلها ملائمة، لأن الآفاق البراغماتية التي نربطها بالأدب لم تكن منفصلة عن الآفاق الأيديولوجية، التي لا تنفصل بدورها عن المقاربات الشكلانية والبنيوية للآثار الأدبية، فبارط مثلا كان يتناول بنفس الحجة، مسائل شكلانية عن السردية مع خلفيات أيديولوجية.

ومع تراجع الأيديولوجيا لأسباب تاريخية وسياسية، بات من الصّعب ممارسة النقد بنفس النظريات السابقة، ما فتح الباب أمام نظرية التلقي وجمالياته، رغم أنّها تميز بين النص وفعل القراءة، فتعتبر المكتوب ثابتا، دائما، قابلا للنقل، فيما القراءة عارضة، تتغير بتغير صاحبها، أي أنّ النظرية تنصب أساسا على تحولات القراءة من شخص إلى آخر، ومن عصر إلى عصر، والتركيز على أفق الانتظار كمحدد للفارق الجمالي الذي يسمح بقياس تاريخية النص، ويبقى النص نفسه دون تلقّيه أهمية.

وجملة القول إن الوقت حان كي نبتكر مناهجنا الخاصة، ولا نواصل الاتكاء على مناهج غربية، تجاوزها الزمن في عقر دارها.

جائزة الشيخ زايد للكتاب تطلق ست ترجمات لأربعة أعمال متوجة

أبوظبي – أعلنت جائزة الشيخ زايد للكتاب عن إطلاق ست ترجمات لأربعة أعمال فازت بالجائزة في فرعي أدب الطفل والآداب، والتي نشرت باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والأوكرانية، بالتعاون مع أربع دور نشر عالمية، وذلك بالتزامن مع احتفالات الأوساط الأدبية باليوم العالمي للغة العربية الذي يصادف 18 ديسمبر من كل عام.

وتشمل قائمة الكتب الفائزة في فرع أدب الطفل والناشئة التي جرى ترجمتها قصة "أحلم أن أكون خلاط إسمنت " للكاتب الكويتي حسين المطوّع، الفائزة بالجائزة عام 2019، والتي ترجمت إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية بالتعاون مع دار النشر الكندية "ذا بوك لاند بريس" وإلى الألمانية بالتعاون مع دار"سوجيت فيرلاج" للنشر، وقصة "بلا قبعة" للكاتبة الكويتية لطيفة بطي، المتوجة عام 2017 والتي ترجمت إلى اللغة الفرنسية بالتعاون مع دار النشر الكندية "ذا بوك لاند بريس".

أما ترجمات الروايات الفائزة في فرع الآداب فضمت رواية "خريف البراءة" للكاتب اللبناني عبّاس بيضون، الفائزة عام 2017، والتي ترجمت إلى الأوكرانية بالتعاون مع دار"أنيتا أنتونينكو ببليشرز"، ورواية "مجانين بيت لحم" للكاتب الفلسطيني أسامة العيسة، الفائزة عام 2015 والتي ترجمت إلى الفرنسية من دار نشر "ببليفيل إيديشنز"، بعد أن قامت دار "أنيتا أنتونينكو ببليشرز" العام الماضي بترجمتها إلى الأوكرانية. وقال الدكتور علي بن تميم، أمين عام جائزة الشيخ زايد للكتاب رئيس مركز أبوظبي للغة العربية "تعد الترجمة وسيلة هامة لتحقيق التواصل الثقافي والحضاري بين شعوب العالم، فهي تلعب دورا مهما في نقل ثقافات الشعوب وتراثها ونتاجها الأدبي إلى اللغات الأخرى، ولهذا سعينا من خلال منحة الترجمة، إلى توفير نافذة للقرّاء من مختلف اللغات للاطلاع على أفضل النتاجات الأدبية العربية بلغاتهم الأم".

وأضاف "التزامنا بدعم الكتّاب العرب مستمر ودائم، وذلك من خلال إتاحة الفرص أمام الناشرين العالميين لترجمة الأعمال الفائزة ونشرها بمختلف اللغات، لإثراء الآداب العالمية بأفضل الأعمال العربية. ويسعدنا أن تحقق المنحة المتاحة لدور النشر في أرجاء العالم التفاعل من قبل كبريات دور النشر للأعمال الفائزة بجائزة الشيخ زايد للكتاب، وعليه ستكون المنحة ابتداء من العام المقبل متاحة للأعمال المرشحة في القائمة القصيرة أيضا" .

من جانبه قال مجيد موهيت، الناشر والمدير التنفيذي لدار "سوجيت فيرلاج" التي حازت على المنحة لترجمة قصة "أحلم أن أكون خلاط إسمنت" إلى الألمانية إن "كتاب حسين المطوع هو فرصة لتعريف الأطفال بأهمية التنوّع وتقبّل الآخرين، وذلك بفضل حبكته الروائية والرسومات الجميلة التي تزيّن صفحاته مستعرضا ما يتناوله الكتاب من موضوعات" .

وقالت أنيتا أنتونينكو، مديرة دار "أنيتا أنتونينكو ببليشرز" التي حصلت على المنحة لترجمة كتاب "خريف البراءة" إلى الأوكرانية إن الأدب العربي غير ممثّل بالشكل المناسب في أوكرانيا. مضيفة "لقد استحوذت قصة هذا الكتاب على اهتمامي، وأعتقد أنها ستلقى صدى لدى القرّاء، حيث تطرح موضوعاتها من منظور عالمي خاصة آفاق المستقبل، متوقعة أنه بعد نشر ثلاثة أو أربعة أعمال عربية باللغة الأوكرانية ستتمكن من استقطاب جمهور عريض للاستمتاع بالمزيد من الأدب العربي".

وبدورها قالت دوروثي أوبير، مديرة دار نشر "بيلفيل إيديشنز" التي حازت على المنحة لترجمة رواية "مجانين بيت لحم" إلى الفرنسية إن "منحة الترجمة لجائزة الشيخ زايد للكتاب مهمة جدا، فهي منحتنا الميزانية الملائمة للترويج للكتاب والتعاون مع مترجم محترف".

وقال روبرت مورغن، المدير العام لدار نشر "بوك لاند بريس"، التي حازت على المنحة لترجمة كتاب "أحلم أن أكون خلاط إسمنت" إلى الإنجليزية والفرنسية، وكتاب "بلا قبعة" إلى الفرنسية "نشر هذه الكتب بالإنجليزية والفرنسية سيمنحنا الفرصة لتعريف القرّاء في أميركا الشمالية على إبداعات الكتّاب والرسامين العرب المعاصرين، والذين لا يزالون غير معروفين في هذه الأسواق"، معتبرة أن جائزة الشيخ زايد للكتاب هي إحدى أفضل الجوائز العالمية التي تساهم في تعزيز حضور الأدب العربي في الأسواق العالمية.

> منحة الترجمة التي تقدمها الجائزة تعزز انتشار الأدب العربي وستكون متاحة لأعمال قائماتها القصيرة العام المقبل

والجدير بالذكر أنّ جائزة الشيخ زايد للكتاب أطلقت منحة الترجمة عام 2018 لتعزيز انتشار الأدب العربي حول العالم، حيث تقدّم المنحة تمويلا ماليا يصل حتى 19 ألف دولار أميركي ويشمل الأعمال الفائزة بالجائزة، وهي متاحة لكافة دور النشر العالمية التي تعمل على نشر الكتب باللغات الأجنبية، وقد شهدت المنحة في عامها الأول فوز كل من دار "ماركوس واي ماركوس"، والتي عملت على ترجمة رواية "الدينوراف" للكاتبة الإماراتية حصة المهيري إلى الإنجليزية والفرنسية والإيطالية، ودار "أنيتا أنتونينكو ببليشرز"، والتي قامت بترجمة رواية "مجانين بيت لحم" للكاتب الفلسطيني أسامة العيسة إلى الأوكرانية.

الترجمة جسر الأدب العربي إلى العالمية